



تاريخ الخلفاء

السُّيُوطِيُّ يَسْتَكْمِلُ بِتَارِيخِ الْخُلَفَاءِ رِحْلَاتِهِ بَيْنَ الطَّبَقَاتِ

«تاريخ الخلفاء» من تصانيف الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السُّيُوطِيِّ الشَّافِعِيِّ، المولود في رجب سنة 849هـ والمتوفى عام 911هـ. وله مؤلفات كثيرة قاربت خمسمئة كتاب منها كتابنا هذا.

وقد ذكر السُّيُوطِيُّ أَنَّ مِنْ دَوَاعِي تَأْلِيهِ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّهُ لَمَّا وَجَدَ كَثِيرًا مِنَ الْمَوْلَفِينَ أَلْفُوا فِي طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ، وَالنَّحْوِيِّينَ، وَالْفُقَهَاءِ، وَتَرَاجِمِ الْعُلَمَاءِ، رَأَى بِنَاقِبِ نَظَرِهِ أَنَّ يُوَلِّفَ كِتَابًا فِي سِيرَةِ الْخُلَفَاءِ، بَدَأَهُ بِالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ مَن صَحَّتْ خِلَافَتُهُ مِنْ بَعْدِهِمْ كَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَخُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَعَدَّ مِنْ بَيْنِهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَاسْتَشْنَى مِنْهُمْ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، لِأَنَّهُ - كَمَا قَالَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ - لَا يُعَدُّ فِي أَمْرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ.

وقد ذكر في مقدمة الكتاب فصولاً مهمّةً، منها فصلٌ في «شأن البردة النبويّة التي تداولها الخلفاء إلى آخر وقت»، وهو يُظنُّ أَنَّهُا فُقِدَتْ فِي فِتْنَةِ التَّنَارِ. وَأَعَقَبَهُ بِفَصْلِ عُنْوَانِهِ «في فوائد مثورة تقع في التراجم»، ذكر فيه قواعد مهمّة في الألقاب والكنى، ومن سبق غيره في عمل معين. وقد نقل عن المسعودي في إحدى الفوائد: «ولم يل الخلافة هاشميّ ابن هاشميّة إلا عليّ ابن أبي طالب والحسن ابنه رضي الله عنهما، والأمين». ثُمَّ بَدَأَ فِي سَرْدِ الْخُلَفَاءِ وَحَيَاتِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ، وَقَدْ كَانَ يَذْكُرُ اسْمَ الْخَلِيفَةِ وَلَقَبَهُ وَعُمُرَهُ وَأَهَمَّ أَعْمَالِهِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ صَحَابِيًّا ذَكَرَ الْأَحَادِيثَ الَّتِي رَوَاهَا، وَبَعْضًا مِنْ تَفْسِيرِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَمَنْ مَاتَ فِي عَهْدِهِ مِنَ الْأَعْلَامِ، وَمَنْ رَثَاهُ مِنَ الْأَعْلَامِ شِعْرًا وَنَثْرًا. وَقَدْ دَرَجَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابَتِهِ سِيرَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَنْ

بَعْدَهُمْ عَلَى الْحَيَادِيَّةِ، فَتَرَاهُ إِذَا يَذْكُرُ مُحَاسِنَ خَلِيفَةٍ وَأَعْمَالَ لَهَا حَسَنَةً، فَيَعِدُّدُ الْأَعْمَالَ الَّتِي رَأَاهَا سَبَبًا فِي وَفَاةِ هَذَا الْخَلِيفَةِ أَوْ عَمَلًا قَادِحًا فِي سِيرَتِهِ.

وَيُعَدُّ كِتَابُ «تاريخ الخلفاء» من أشهر كتب السُّيُوطِيِّ، ومن أشهرها أيضًا: «الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير»، و«طبقات المفسرين»، و«طبقات الحفاظ»، و«الإثقان في علوم القرآن»، و«بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»، و«طبقات الأصوليين»، و«أسرار ترتيب القرآن» و«الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، و«المزهر في علوم اللغة»، و«الفية في علم الحديث».

وقد ألف السُّيُوطِيُّ «تاريخ الخلفاء» أيام الخليفة المستنجد العباسي المتوفى 14 من



مُحَرَّمِ 884هـ، وَهُوَ الْخَلِيفَةُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ. ثُمَّ زَادَ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ وَالِدِ الْمُسْتَمْسِكِ بِاللَّهِ، وَكَانَ الْمُسْتَمْسِكُ قَدْ وُلِيَ الْخِلَافَةَ فِي صَفَرِ سَنَةِ 903هـ، وَفِي أَيَّامِهِ تُوُفِيَ السُّيُوطِيُّ. قَالَ: «وَلَمْ أُورِدْ أَحَدًا مِنَ الْخُلَفَاءِ الْعَبِيدِيِّينَ، لِأَنَّ إِمَامَتَهُمْ غَيْرُ صَحِيحَةٍ، لِأُمُورٍ مِنْهَا... إلخ. إِلَّا أَنَّهُ رَجَعَ عَنِ كَلَامِهِ فَذَكَرَهُمْ فِي فَصْلِ بِمَلَا حَقِ الْكِتَابِ، بَعْدَ مَا صَرَّحَ بِالْفِرَاقِ مِنْهُ. وَافْتَتَحَهُ بِفُضُولٍ فِي كَوْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْتَخْلَفْ، وَفِي مُدَّةِ خِلَافَةِ الْإِسْلَامِ، وَفِيمَا جَاءَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُنْدَرَةِ بِخِلَافَةِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالْمُبَشِّرَةِ بِخِلَافَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ. وَأَتْبَعَهَا بِفَوَائِدَ مَثُورَةٍ مِنْ عَجَائِبِ الْمُصَادَفَاتِ، وَنَوَادِرِ الْأَوَائِلِ، وَمَا أَلَّفَ فِي تَوَارِيخِ الْخُلَفَاءِ، وَأَوْلَاهَا «تاريخ الخلفاء» لِنَفْطَوَيْهِ النَّحْوِيِّ. وَخَتَمَهَا بِنَمُودَجٍ مِنْ بَيِّنَاتِهِمْ. وَذَكَرَ أَنَّهُ أَحَقَّ بِالْكِتَابِ مَنْظُومَةً مِنْ صُنْعِهِ فِي أَسْمَاءِ الْخُلَفَاءِ وَوَفِيَاتِهِمْ، سَمَّاهَا «تُحْفَةُ الظُّرَفَاءِ».

وَذَكَرَ فِي خَاتَمَتِهِ مَصَادِرَ كِتَابِهِ مِنْ كُتُبِ التَّوَارِيخِ، مُبَيِّنًا السَّنَةَ الَّتِي انْتَهَى إِلَيْهَا كُلُّ تَارِيخٍ، إِضَافَةً إِلَى تَوَارِيخِ الْبُلْدَانِ، مَعَ ذِكْرِ عَدَدِ مَجْلَدَاتِ كُلِّ تَارِيخٍ، مِثْلُ: «تاريخ دمشق» (57 مجلداً)، و«الأوراق» للصُّوَلِيِّ (7 مجلّدات)، و«الطيوريات» لأبي طاهر السلفي (3 مجلّدات). وَطُبِعَ الْكِتَابُ طَبَعَاتٍ كَثِيرَةً، أَوْلَاهَا فِي الْمَطْبَعَةِ الْمِمْبِئِيَّةِ سَنَةَ 1305هـ.